الإدغام والإبدال في أبنية الفعل
(من دروس لغة التنزيل)

الدكتور
إبراهيم السامرائي
كلية الآداب ـ جامعة صنعاء

للفعل في لغة التنزيل العزيز مكان خاص من حيث مبانيه ، ثم من حيث دلالته على الزمن ، ثم من حيث انصرافه إلى ما يتصل بالإسلام .

وقد كان لي في هذا الدرس مشاركة عرضتها في جملة من تصانيف ، وأخرى كانت في ندوات علمية ولقاءات متخصصة نشرت في مقرّرات هذه الندوات واللقاءات .

وإني اليوم لأعرض إلى باب الإدغام في شيء من أبنية الفعل في هذه اللغة الكريمة ، وسأبدأ درسي هذا مستقرياً مادته الخاصة بحسب حروف المعجم فأقول :

١ ـ أَتَى :[1]

أقف من هذا الفعل على صيغة الأمر فأجدها في « ائْتِ » فأقول :

إن الألف الأولى في الرسم همزة كسرت لمحاً للوصول إلى همزة الفعل الأصلية ، وهي ساكنة في الفعل الثلاثي الأمر عامة . وهذه الهمزة الأولى تحرّك لمحاً بحركة عين

---

١ ـ دلالة الفعل « أتى » على المجيء معروفة ، والفعل متعدٍ ولازم ، وقد يتوسع في دلالة الإتيان فيكون كقولك : أتيت بالشيء ، ثم ذهب الاستعمال إلى « الإتيان » بالمنكر أو الفاحشة كقوله تعالى : « أتأتون الفاحشة » و« أتأتون الذكران من العالمين » . ووصول الفعل إلى مدخوله يتم في الأصل =

الفعل الثلاثي ، وهي من هنا صوت طارئ جيء لبناء صيغة الأمر الثلاثي الساكن الفاء ، كما في المثل المذكور .

أقول : لا بدّ لي أن أشير إلى أن « الإدغام » هو في حقيقته دخول صوت في صوت آخر ، وقد يحصل في هذا الدخول تشديد هذا الصوت المشتمل على صوتين بينهما قرابة ما من غير أن أذهب إلى هذا التحديد في هذه القرابة ، إن هذا الذي أدعوه قرابة سمع في العربية وكان لنا منه ظهور واضح كما سنرى .

ثم إن الإدغام يصار به إلى الخفة التي جرت عليها العربية ، وهي ما نراه في كثير من الأبنية ، وسنرى ذلك .

وأعود إلى فعل الأمر « إئتِ » فأقول إن وجود الهمزتين مظنة ثقل في العربية فأنت تذهب بالهمزة الثانية التماساً للخفة إلى الكسرة الطويلة تلي الهمزة الأولى التي اجتلبت للأمر ، فأنت تطلب من مخاطبك كتاباً مثلا فتقول :

« إيتِ بالكتاب » .

= بالباء ، أي أتأتون بالفاحشة ، غير أن هذه الباء سقطت فوصل الفعل بمدخوله ، وهذا جاء في العربية كثيراً .

ويذهب المزيد بالهمزة من هذا الفعل وهو « آتى » إلى معنى « العطاء » وأقول :

كأن هذا الفعل الرباعي لا صلة له بالثلاثي « أتى » ، وإنه من « أعطى » ، ثم حصل إبدال العين بالهمزة الثانية في « أ أتى » ، وإبدال التاء بالطاء فيكون من ذلك « آتى » بمدّ الهمزة وهي همزتان في الأصل كالهمزة في « آمنَ » .

أقول : ذهبت إلى هذا لأني أرى البعد بين حقيقة « الأتي » أو « الإتيان » وبين دلالته على العطاء ، وليس في هذا مجاز أو توسع ، وأنت تدرك هذا البعد وتتلو قوله تعالى : « وآتى المال على حبّه ذوي القربى .. » وقوله تعالى : « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » وأنت تبصر هذا حتى في قوله تعالى : « وآتيناه الحِكْمَةَ ..» وفي قوله تعالى : « لعلّي آتيكم منها بقبس » . وأنت بيسر تدرك « أنطى » بمعنى « أعطى » ، والنون فيه تولّدت من فك الإدغام للتاء من الفعل « أتّى » وتبدل النون من التاء الأولى .=

أقول : وهذا الإبدال قد يطلق عليه مصطلح « التسهيل » للهمزة ، وهذا يعني أن الهمزة ثقيلة ولذلك قالوا : « إن قريشاً لا تنبر » أي لا تهمز ، ومثل قريش قبائل أخرى من غير شك . فأنت قد تسمع من يقول : « ريم وراس وشوُم » كلها بغير همز ، وهذا في فصيح العربية إلى جانب المهموز في كل منها بله العامي الدراج .

إن « التسهيل » في هذه الكلمات الثلاث وفي كثير من نظائرها كان من غير شك التماساً للخفة . ومن أجل هذا كثر وروده في الشعر مع أن الهمز قد يحتمله الوزن كما في قول شوقي :

« رِيـمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ » .

قد يقول القارىء : وهل هذا يندرج في الإدغام ؟

أقول : إن مصطلح « الإدغام » يقتضي التشديد لأنه صوتان تحوّلا إلى صوت واحد في المنطق والرسم . ولما كان الإدغام في حقيقة الأمر التماساً للخفة وابتعاداً عن التقارب بين الأصوات ، وإن اللسان قد يذهب إلى أحدهما الذي يألفه فيكون الفعل نطقاً « يطّجع » والأصل « يضطجع » ، ذهبت الى جعل « إيتِ » بالمد ، من هذا الباب من حيث هو التماس للخفة .

وكأني وسّعت من دلالة مصطلح « الإدغام » فأدخلت فيه ما لم يجر عليه اللغويون .

= وهذا معروف في المضاعف من الأفعال والأسماء ولا سيما في الألسن الدارجة نحو : قَطَّر وقَنْطر وخَصَّر وخَنْصَر ، ودبوُس ودنبوس . وقد يكون الأول من الصوت المشدّد ياءً أو راء ، ألا ترى أن « سيطَرَ » من « سَطَر » و « أيْما » من « « أماً » كما في الشاهد القديم « أيْما إلى جنة ، أيْما إلى نار » ، ومن هذا من ذهب الى أن حَرْجَمَ من المضاعف « حجَّم » و « فَرقَعَ » من المضاعف « فَقَّع » ، وغير هذا.

وإذا عدنا إلى ورود هذا الفعل الأمر في لغة التنزيل وجدنا أن الثقل فيه قد ابتعد باعتماد الفعل على حركة الفتحة قبلها كما في قوله تعالى :

« فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق « فأتِ » بها من المغرب »[1] ٢٥٨ سورة البقرة . ألا ترى أن الهمزة الأولى وهي همزة بناء الأمر قد طويت نطقاً ورسماً .

ومثل هذا الأمر للواحد الأمر للاثنين كقوله تعالى :

« فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين » ١٦ سورة الشعراء .

وأنت لا تنطق بالهمزة الأولى وإن ثبتت رسماً . ومثلهما الأمر للجماعة ، كقوله تعالى :

« وقال الملكُ ائتوني به » ٥٠ سورة يوسف .

أقول : والهمزة الأولى للأمر قد طويت لوقوعها في الوصل بعد الضمة بعد كاف « المَلِكُ » . وهكذا في كل فعل أمر يأتي موصولاً بعد حركة في الكلمة التي تسبقه . وقد طويت الهمزة الأولى وإن ظهرت الألف في الرسم .

إن « الخفة » المطلوبة للابتعاد عن توالي همزتين قد تحققت في الوصل .

أقول : ومثل هذه الخفة التي تتحقق في الوصل قوله تعالى :

« فإنْ أمِنَ بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي « اوتُمِن » أمانته » ٢٨٣ سورة البقرة .

فالفعل « اوتُمِنَ » مبني للمفعول ، وقد أسكنت همزته للوصل فلصقت بالمدّ في « الذي » بعد قصر الكسرة بعد الذال ، وكأنها « الّذِ » .

ومن هنا جاء في القراءات :

« ومن أهل الكتاب من إن « تِيمَنْهُ » بقنطار يُؤدِّه إليك » ٧٥ آل عمران .

والقراءة المثبتة في المصحف « تأمَنْه » .

---

١ ـ وقد تلتمس الخفة في هذا الفعل فتطوى همزة بناء الأمر إن سبق الفعل بأيّة حركة كالكسرة أو الضمة كما في قوله تعالى : « وإذ نادى ربّك موسى أنِ ائت القومَ الظالمين » .

والقراءة الأولى الخاصة بتسهيل الهمزة « تِيمَنْهُ » كانت التماساً للخفة .

إن التماس الخفة في هذه المواد شيء يتطلبه حسن الأداء في التلاوة والإعراب الحَسَن .

ولنتحول إلى الإدغام الذي يؤدي إلى تشديد الصوت ، وهذا وإن كان تشديداً ، فقد صير إليه التماساً للخفة فننظر في الفعل « اتخذ » ونحن نستقري ورود هذا الأمر في لغة التنزيل حسب حروف المعجم .

٢ ـ أخذ[١] .

وقد بُني هذا الفعل على « افتَعَلَ » فكان « اتّخَذَ ويَتَّخِذُ » كما في قوله تعالى :

« وقالوا اتّخَذَ الله ولداً سبحانه » ١١٦ سورة البقرة .

« ومن الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً » ١٦٥ سورة البقرة .

أقول : وبناء « افتعل » من الفعل « أخذ » المهموز الأول يؤدي الى إدغام همزة الفعل وهي فاؤه في تاء « افتَعَل » فتُطوَى الهمزة من غير قرب صوتي بين الهمزة الحلقية والتاء من الأحرف النطعية كالدال والطاء .

إن هذا الإدغام الذي حصل في العربية وليس من قرابة صوتية كان التماساً للخفة التي لا تتوافر في الأصل « ائتَخَذَ »[٢] .

وهذه الخفة المقتضاة غالباً هي التي دفعت المعربين إلى التخلص من همزتي فعل الأمر « خُذ » والأصل « اؤخُذ » . وإني لأستطرد فأذكر هذا لذكر السبب وهو « التماس الخفة » .

---

١ ـ إن انصراف الفعل « أخذ » في دلالته في استعمالاته الكثيرة يظهر سعة العربية في الوصول إلى المعاني الدقيقة . ولو أنك استقريت ما ورد من ذلك في « لسان العرب » وفي غيره من كتب الأدب والتاريخ لوجدت عجباً .

٢ ـ قال الليث [وهذه عبارة الخليل في كتاب « العين »] : يقال : اتّخَذَ فلان مالاً يتّخذه اتّخاذاً ، و« تَخِذَ » يَتْخَذُ تَخْذاً ، وتَخِذْتُ مالاً أي كسبته .
قال تعالى : « لو شئتَ لتخذْتَ عليه أجراً » .
قال الفرّاء : وقرأ مجاهد « لتخِذتَ » . =

٣ ـ أمن

أقول : وقد ذكرت الفعل بالبناء للمفعول « اؤتمن » في آخر الفعل « أتى » وفي ذلك كفاية .

٤ ـ تبع :

وبناء « افتَعَلَ » من هذا الفعل يؤدّي إلى إدغام تاء الافتعال في التاء وهي فاء الفعل « تَبِعَ » ، كما في قوله تعالى :

« ثم أوحينا إليك أن اتَّبِعْ ملّةَ إبراهيم حنيفاً » ١٢٣ سورة النحل .

وقد أدرجت هذا الفعل ، وهو كسابقه « أخذ » جرياً على استقرائي مسألة الإدغام في الأفعال التي اشتملت عليها لغة التنزيل .

٥ ـ ثقل

قال تعالى : « ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقَلْتُم إلى الأرض » ٣٨ سورة التوبة .

أقول : أدرك اللغويون ومعهم المفسرون وأهل القراءات أن الفعل « اثّاقَل » في هذه الآية بمعنى « تثاقَلَ » . ولم يعرض أيّ من هؤلاء لصيغة هذا الفعل ، وكأنهم اكتفوا بمعناه ، وأنه مثل « تثاقَلَ » مبنىً ومعنىً .

= وقال أبو منصور [أي الأزهري] : وصحّت هذه القراءة عن ابن عبّاس ، وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء ، وكذلك قرأ أبو زيد ، وقال : وكذلك مكتوب هو في الإمام وبه يقرأ القُرّاء ، ومن قرأ « لاتّخَذتَ » ، بفتح الخاء وبالألف ، فإنه يخالف الكتاب . وقال الليث : من قرأ « لاتّخَذْتَ » فقد أدغم التاء في الياء فاجتمعت همزتان فصيّرت إحداهما ياءً ، وأدغمت كراهة التقائهما .

أقول : أراد الليث [وهو الخليل] : أن التاء أدغمت في همزة « أخذ » التي هي فاء الفعل التي رسمت على الياء في « إئتَخَذَ » ، ثم حصل الإدغام .

وذهبوا إلى أن فيه معنى « ملتم » على النظر في « التضمين » .

حكى النضر بن شميل : ثَقَلَ إلى الأرض بمعنى أخلَدَ إليها واطمأن فيها .

جاء في « لسان العرب » : فإذا صحّ ذلك تعدّى « اثاقَلْتُم » في قوله ـ عزّوجلّ ـ : « اثّاقلْتمُ إلى الأرض » بـ « إلى » بغير تأويل يخرجه عن بابه .

وتثاقل القومُ : استُنهضوا لنجدة فلم ينهضوا إليها . والتثاقل : التباطؤ من التحامل في الوطء .

قلت : كأن بناء الفعل في الآية لم يستوقف اللغويين الصرفيين ولا المفسرين ، وقد عدّوه مثل « تثاقَلَ » .

أقول : ليس لي أن اكتفي بما جاء عن هذا الفعل ، وكأني أبصر فيه الأصل وهو : « اتثاقلتم » . وهذا يعني أن في العربية الفصيحة بناء « إتفاعلَ » وهو غير « تفاعَل » .

وأعود إلى التماس الخفة الذي كان سبباً في الإدغام وهو في هذا الفعل أدّى إلى إدغام التاء الزائدة في الثاء فصار لنا « إثّاقَلَ » ، وسنجد نظير هذا في لغة التنزيل .

أقول : إن هذا البناء من الأبنية العربية النادرة ، وندرتها تأتي من ثقلها وإن كان المعرب القديم قد سعى إلى التماس الخفة فكان له هذا الإدغام . وهي مع ذلك تشتمل على الثقل الذي لا تجري فيه طبيعة العربية ، وقلة ورودها تؤيد ما ذهبت إليه .

لقد كان مثل هذا بناء « افعالٌّ » وهو يرد في الألوان سماعاً نحو : احمارٌّ واسوادٌّ ونحو ذلك . إنه ثقيل ، ولذلك لم يكن له مكان في الكلم المنظوم . لقد أشار الى هذا المبرّد في « الكامل »[1] في كلامه على « حمارّة القيظ » التي وردت في خطبة أمير المؤمنين

---

١ ـ الكامل في اللغة والأدب ١/١٦-١٧ (طبعة المكتبة التجارية الكبرى) .

علي بن أبي طالب وقد بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له حسان ابن حسان فخرج مغضباً ....

وقد جاء في كلام المبرّد على هذه العبارة :

« وحمارّة القيظ اشتداد حرّه واحتدامه . و « حمارّة » مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شعر لأن كلّ ما كان فيه الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر إلا في ضرب منه يقال له المتقارب ، فإنه جُوِّز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله :

فذاك القِصاص وكان التَقا ... صٌّ فرضاً وحتماً على المسلمينا

ولو قال : وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ، ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض »[1] .

أقول : ذكرت هذا لأشير إلى ما في هذه الأبنية من ثقل على سعي المعربين التخلص منه بالتماس الخفة في الإدغام . ومن أجل هذا كان هذا العارض الصوتي سبباً في قلة ورود مثل هذه الأبنية .

وأنت تجد من هذا القليل قوله تعالى « مُدْهامّتان » والوصف « مدهامّ » من الفعل « ادهامّ » ودلالته على اللون معروفة .

وأعود إلى الفعل « اثّاقَلَ » الذي ورد في الآية الكريمة فأقول إنه بناء « افْتاعَلَ » ، وليس هذا في أبنية المزيد من الأفعال في العربية . ولا أدري كيف أغفل أمره وهو شيء من أفعال قليلة جاءت مثله . وليس لأهل اللغة أن يلحقوه بـ « تفاعَلَ » .

٦ ـ حدد

أقول : إن بناء « فاعَلَ » من الفعل الثلاثي المضعف « حدّ » هو « حادَّ » بإدغام الدال في الدال . وكأن في هذا الإدغام طلباً للخفة ذلك أن « حادد » بفك الإدغام مما لم يسغه المعربون إلا في ضرورة تقتضي الفكّ .

---

١ ـ المرجع السابق نفسه .

وأود أن أقول : إن ما ذهب إليه المبرّد في مسألة « التقاء الساكنين » في « حمارّة » ، ومثله عامّة أهل العربية هو من تقصير النظر القديم فالتشديد في « حمارّة » ليس التقاء ساكنين بل إنه مقطع صوتي طويل تجاوز طوله المعروف من المقاطع في الكلمة العربية .

قال تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله » ٢٢ سورة المجادلة .

والفعل « حادّ » بناء « فاعَلَ » وهو « حـادَدَ » ، و« حـادّه » بمعنى غاضَبَه مثل « شاقَّه » وكأن اشتقاقه من « الحدّ » الذي هو الحيّز والناحية ، كأنه صار في الحدّ الذي فيه عدوّه ، كما أن « شاقّ » صار في الشقّ الذي فيه عدوه . و « حادّ » الله » في الآية أي خالف الله وعاداه وسيأتي الكلام على الفعل « يُوادّون » في هذه الآية في موضعه .

وقال تعالى : « ألم يعلموا أنه مـن يحُادِدِ اللـه ورسولـه فـأنَّ لـه نـار جهنمّ خالداً فيها » ٦٣ التوبة .

أقول : الفعل في هـذه الآية « يُحادّ » بالإدغام وهو مجزوم لأنه فعل شرط ، وحركة الجزم هي السكون ، فكيف يظهر السكون على هذا الفعل الذي عرض له الإدغام ؟

هنا تأتي الضرورة التي تقتضي فك الإدغام وذلك لأن التقاء الساكنين[1] كما قالوا يقتضي أن يحرّك الساكن الأول وهو الفعل « يحادّ » بحركة اجتناباً لهذه العلة الطارئة ، وقد شاع أن تكون هـذه الحـركة كبيرة تلحق آخر الفعل ، فقد فكّوا الإدغام وكسروا الدال الثانية في هذا الفعل وكـان لهـم ألا يفكّوا الإدغام ويبقوه ويحركوا الفعل المجزوم بفتحة ، ولكنهم ذهبوا إلى الوجه الأول ، وفي بعـض القراءات جاء هذا الوجه الثاني .

ومن المفيد أن أشير إلى أن جواب الشرط في هذه الآية هو قوله تعالى : « فأن له نارَ جهنمّ ..... » . وقد ثبتت هذه القراءة بفتح همزة « أن » ولا وجه لفتحها ، ولكنها

---

١ ـ أقول : وهذا مما قصّر فيه اللغويون القدامى فحسبوا الألف في « حَمارّة » ساكناً ، فقالوا التقى هذا الساكن بالراء الأولى الساكنة . ان وجه الخطأ في قولهم هذا يكون في جعلهم الألف التي هي فتحة طويلة ، ساكنة ، والألف حركة لا سكون ، فكيف يلتقي الساكنان .

قراءة . والوجه هو كسر الهمزة الذي ورد في كثير من لغة التنزيل في مثل هذا الموضع وهو مجيء « إن » صدراً لجواب الشرط كما في قوله تعالى :

« إنه من يتقِّ ويصبرْ « فإنّ » الله لا يضيع أجر المحسنين » ٩٠سورة يوسف .

ونعود إلى الفعل « يُحادّ » فنجد الإدغام فيه لعدم العلة الطارئة التي أشرنا إليها كما في قوله تعالى :

إن الذين يُحادّون الله ورسوله كُبِتوا .... » ٥ سورة المجادلة .

٧ ـ درأ

وقد ورد الفعل « إدّارأ » ، وهو « إفْاعَلَ » في قوله تعالى :

« وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها » ٧٢سورة البقرة .

وكأن اللغويين والصرفيين والمفسرين جعلوا هذا الفعل مثل تداراً معنىً وبنية .

أقول : إن الفعل في الآية معناه « تدارأتم » أي اختلفتم وتدافعتُم .

وأما بناؤه فهو « اتفاعلتم » الذي أنكره اللغويون على أنه من أبنية الفعل المزيد في العربية ، وهو « تفاعلتُم » لديهم .

وقالوا : وأصله « تدارأتم » فأدغِمت التاء في الدال واجتُلبت الألف ليصبح الابتداء بها . وذكروا أن الأصل وقع في الحديث الشريف : « إذا « تدارأتم » في الطريق .....» أي تدافعتم واختلفتم .

أقول : وكأن اللغويين صرفوا « إتفاعَلَ » كما في « اثّاقَلَ وادّارأ »[1] إلى بناء « تفاعَلَ » لقلّة ما جاء من نظائر هذين الفعلين . وكأنهم لم يريدوا استحداث هذا البناء فذهبوا إلى قولهم : « باجتلاب الألف » ولم يتوقّفوا في سبب اجتلاب الألف هذه ، وهل جاء مثل « الاجتلاب » في العربية .

٨ ـ درك

وقد جاء من هذا الفعل المزيد « ادّارَكَ » كما في قوله تعالى :

« بل ادّارَكَ عِلمُهُم في الآخرة بل هم في شكٍّ منها » ٦٦ سورة النمل .

أقول : جعل اللغويون هذا الفعل في هذه الآية بمعنى « تدارَكَ » وهو الأصل عندهم ، وقالوا : رُوي عن الحسن أنه قال : جهلوا علم الآخرة ، أي لا علم عندهم في أمر الآخرة .

وجاء في « التهذيب » وقوله تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلا الله وما يشعرون أيّان يُبعثون بل ادّارَكَ عِلمُهُم في الآخرة » قرأ شيبة ونافع « بل ادّارَكَ » ، وقرأ أبو عمرو « بل أدْرَكَ » ، وهي في قراءة مجاهد وأبي جعفر المدني .
ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قرأ : « بل آ أدركَ علمُهم » يستفهم ولا يُشدّد .

فأمّا من قرأ « بل ادّارَك » فإن الفرّاء قال : معناه لغة « تدارَك » أي تتابَعَ علمهم في الآخرة ، يريد بعلم الآخرة تكون أو لا تكون ، ولذلك قال : بل هم في شكٍّ منها بل هم منها عَمون ،

١ ـ أقول : إن تشديد الثاء والدال في الفعلين متأتٍّ من إدغام تاء « اتفاعَلَ » في فاء كل من الفعلين وهذا حاصل في طائفة من الأبنية القديمة ، ومنه ما ورد في قوله تعالى :
« ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم « يَخِصّمون » ٤٩ سورة يس .
الفعل « يخِصّمون » بتشديد الصاد أصل « يختصمون » ، وتبعت الخاء الصاد فكُسرت .

قال : وهي في قراءة أُبَي « أم تَدارَك » والعرب تجعل « بل » مكان « أم » ، و« أم » مكان « بل » إذا كان في أول الكلمة استفهام مثل قول الشاعر :

فوالله ما أدري ، أسَلمى تَغَوَّلَتْ أم اليوم أم كلٌّ إليَّ حبيبُ

معنى « أم » بل .

وقال أبو معاذ النحوي : ومن قرأ « بل أدرك » ومن قرأ « بل ادّارك » فمعناهما واحد .

٩ ـ ذخر

وقال تعالى : « وما تَدّخرون في بيوتكم » ٤٩ سورة آل عمران .

أقول : أصل « تدَّخرون » هو الفعل « ذَخَرَ » بالذال ، وقد بُني هذا على « افتَعَلَ » فكان بحسب ما هو مطّرد أن يكون « تذدخرون » وتاء الافتعال تبدل دالاً . وقد ورد هذا في بعض القراءات في هذه الآية . والذال من الحروف المهجورة والحروف اللثوية وهي الثاء والذال والظاء . والدال من الحروف المهجورة والحروف النَّطعية وهي الطاء والتاء . وكأن اللسان يذهب إلى الدال هذه ، وهي أقوى من الذال ، وهذه القوة أو الشدّة تعرض لفاء الفعل وهي الذال فتبدل « دالاً » . وكأن الأصل « دخر » وليس لنا « دخر» في هذا المعنى . وقد شاع الفعل مع إبدال الذال الأصلية دالاً واستعمل الفعل « ادَّخَرَ » وكأنه بعيد عن « اذدَخَرَ » ، ومثل هذا المصدر « الادّخار » ولا يقال : « الاذدخار » .

ولنا أن نأتي بنظير هذا الإبدال الطارئ مع تجنّب الأصل في الفعل « ذَكَرَ » ، ويُبنَى على « افتعَلَ » فيكون منه « اذدَكر » والدال هنا إبدال من تاء « افتَعَل » . غير أن شدة الدال ظهرت فأُبدلت الذال الأصلية دالاً وأُدغمت في الدال التي هي تاء « افتعل » بعد الإبدال فكان لنا من هذا « أدّكَرَ » كما في قوله تعالى :

« وقال الذي نجا منهما و« ادَّكَرَ » بعد أمّة أنا أُنَبِّئكُم بتأويله » ٤٥ سورة يوسف .

وأنت تدرك في كل هذا الإبدال ، وما يكون بعده من الإدغام طلب الخفّة التي درجت عليها العربية .

١٠ ـ زمل

قال تعالى : يا أيّها المزَّمِّل ، قُم الليل إلا قليلاً » ١ سورة المزمل .

وأصل « المُزَّمِل » هو « المُتَزمّل » وقد أدغمت التاء في الزاي لقربها منها ، ذكر ذلك الزجّاج في « معاني القرآن » .

أقول : وهذا الإدغام جرى التماساً للخفّة ، وهو ما درجت عليها العربية الفصيحة ، فأما العربية المعاصرة فقد رجعت إلى الأصل وهو « المتزمِّل »[1] .

١١ ـ زجر

قال تعالى : « فكذَّبوا عبدَنا وقالوا مجنون وازدُجِر » ٩ سورة القمر .

أقول : والزَّجْر هو المنع والنهي والانتهار . وزَجَرَه يزجُرُه زَجْراً وازدَجَرَه فانزَجَرَ وازدَجَرَ .

وجاء « الازدجار » في الآية في موضع الانزجار . وأصل « ازدَجَرَ » ازتَجَرَ وهو على « افتَعَلَ » . وقد قرئ : « أزُّجِر » بإدغام التاء في « ازتُجِرَ » بالزاي قبله ، وهذا من غرائب شواذ القراءات[2] .

ومثل الفعل « ازدُجِر » في هذه الآية قوله تعالى أيضاً :

« ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزدَجَر » ٤ سورة القمر .

---

١ ـ ومثل « المزَّمِّل » المُدثِّر في قوله تعالى : « يا أيّها المُدثِّر ، قم فأنذِر » ١ سورة المدثر . والأصل هو « المتدثِّر » .

أقول : والعربية المعاصرة تميل إلى الأصل فلا تدغم التاء في الدال . وعجيب أن نرى في الألسن الدارجة هذا الإدغام الفصيح إذ يقال : المُدّثر والمزَّمِّل وغيرهما كذلك .

٢ ـ إدغام الدال في الزاي لم نجده في فصيح العربية ، ولعله مما وُقِف عليه في بعض لغات القبائل التي تحمل على النوادر والغريب ، ويؤيد هذا أنا نجده في بعض الألسن الدارجة في عصرنا ، ذلك أن من العرب في عصرنا من يقول : يزّي وأصله يجزي ، وبالزّاف وأصله بالجزاف .

١٢ ـ زكو

قال تعالى : « فقل هل لكَ إلى أن تزكَّى » ١٨ سورة النازعات .

« وما يُدريك لعلّه يَزَّكَّى » ٣ سورة عبس .

أقول : الفعل « تَزَكَّى » في سورة « النازعات » أصله « تتَزَكَّى » وقد أدغمت التاء الثانية في الزاي فكان من ذلك « تَزَّكَّى » .

والفعل « يَزَّكَّى » في سورة « عبس » أصله « يَتَزَكَّى » .

١٣ ـ سقط

قال تعالى : « وهُزّي إليك بجذع النخلة يَسّاقَطْ عليك رُطَباً جنيّا » ٢٥ سورة مريم .

أقول : وقرئ « تَساقَطْ وتَسّاقَطْ ، فمن قرأه بالياء فهو الجذع ، ومن قرأه بالتاء فهي النخلة ، وانتصاب قوله « رطباً جنياً » على التمييز المحوّل ، أراد : يَسّاقط رُطَبُ الجذع ، فلما حُوِّل الفعل إلى الجذع خَرَجَ الرطب مفسِّراً .

قال الأزهري : هذا قول الفرّاء . قال : ولو قرأ قارئ تُسقِط عليك رُطَباً يذهب إلى النخلة ، أو قرأ : يُسقِط عليك ، يذهب إلى الجذع ، كان صواباً .

أقول : وقوله : « يَسّاقَط » بتشديد السين أصله يتساقط ، بالتاء فالسين ثم كان إدغام الأول في الثاني التماساً للخفّة .

وأعود فأكرّر : أن « التماس الخفة » يتحقق في القليل من الأصوات والحركات .

١٤ ـ سمع

قال تعالى : « لا يَسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى » ٨سورة الصافات .

أقول : أصل « يَسَّمَّعون » هو « يتَسَمَّعون » وقد طُويت التاء في السين .

١٥ ـ شقق

قال تعالى : ذلك بأنّهم شاقُّوا اللهَ ورسوله » ١٣ سورة الأنفال .

أقول : هو « فاعَلَ » من المُشاقَّة أو الشِّقاق أي العداوة . والفعل « شاقَّ » هذا بإدغام العين في اللام ، والإدغام واجب ، ولم يسمع فكّ الإدغام « شاقَقَ » .

وهو كذلك في قوله تعالى :

« ويقول أين شركائي الذين كنتم تُشاقُّون فيهم » ٢٧ سورة النحل .

ثم نأتي إلى ما ندعوه المضارع في قوله تعالى :

« ومن يُشاقِّ اللهَ فإن الله شديد العقاب » ٤ سورة الحشر .

« ومَن يُشاقِقِ الرسول من بعد ما تَبَيَّن له الهدى » ١١٥ سورة النساء .

أقول : وكأنّ الإدغام وفكّه سواء في هذا الفعل المسند إلى الواحد ، وكلاهما حُرِّك بالكسر الطارئ لتجنب التقاء الساكنين .

١٦ ـ صدق

قال تعالى : « إنّ المصَّدِّقين والمُصَّدِّقات وأقرضوا الله قَرْضاً حسناً يُضاعَفُ لهم » (١٨ سورة الحديد) . أقول : « المصَّدّقين والمصَّدِّقات » في الآية أصلهما « المتَصَدِّقين والمُتَصَدِّقات » بالتاء والمفرد هو « مُصَدِّق » و « مُصَدِّقة » كما ورد الأصل في قوله تعالى :

« والمتصدِّقين والمتصدِّقات والصائمين والصائمات » ٣٥ سورة الأحزاب .

١٧ ـ صيطر

قال تعالى : « لستَ عليهم بمُصَيطِر » ٢٢ سورة الغاشية .

أقول : لو عدت إلى الأصل لكان لي أن أدرج الآية في موضعها معتبراً أن الأصل في « مصيطر » هو « مسيطر » بالسين وموضعها في باب السين كما فعل صاحب « المعجم المفهرس » غير أني آثرت ما هو مثبت في المصحف الشريف وجعلت الأصل بالسين والصاد سواء بسواء .

أعود إلى الفعل « صَيْطَر » الذي عدّه الصرفيون رباعياً مجرّداً وأقول هو أيضاً « سَيْطَرَ » ومعناهما معروف مشهور وهو « التسلّط » . وكأنّي ألمح « السين واللام والطاء » الأصل للرباعي « سَيْطَرَ » والياء فيه زائدة ، وقد صير إلى هذا الرباعي بزيادة الياء وبالقلب بين عين الفعل وهو اللام في « سَلَط » ولام الفعل وهو الطاء .

وأعود إلى غلبة الصاد في هذا الفعل في لغة التنزيل ، وكأن هذه الغلبة للصاد على السين لا تكون إلا حيث يوجد الطاء في بناء الكلمة كما في « الصراط » في قوله تعالى « الصراط المستقيم » وفي آيات كثيرة أخرى ، ولم يرد بالسين إلا في القراءات .

وكأن لغة التنزيل قد غلّبت الصاد على السين في « صراط » و « مصيطر » وقد قرئا بالسين في قراءات عدّة ، وذلك لوجود الطاء على أن السين والصاد من الأصوات المهموسة الأسَلية ، وأن الطاء من الأصوات المجهورة وهي نِطعية مبدؤها نِطع الغار الأعلى [1] .

١٨ ـ ضرر

قال تعالى : « لا تُضارَّ والدةٌ بولدها » ٢٣٣ سورة البقرة .

أقول : والفعل « تُضارّ » مسبوق بـ « لا » الناهية ، وهو مجزوم ، والفتحة على الراء حركة مجتلبة والأمر معروف . وبناؤه على « فاعَلَ » ، والإدغام فيه واجب ، ولم يسمع فكّ الإدغام .

---

١ ـ ومن غريب البدل ونوادره ما كان من قراءة أحدهم : « لستَ عليهم بمُضَيطر » بالضاد .
أقول : والضاد من الأصوات المجهورة ، وهي تسعة عشر صوتاً ، والجيم والشين والضاد في حيّز واحد وهي الأصوات الشجرية .
وقد نستقري البدل بين الصاد والضاد فنجد أثره في الصبر والضبر والصدّ والضد . وإذا عدنا إلى شيء من اللغات السامية فوجدنا الضاد في بعض الكلمات العربية يقابله الصاد في العبرانية في الدلالة عينها .

والثلاثي هو « ضرَّ » المضعف ويبنى على « افتَعَلَ » فتبدل تاء « افتعل »طاء فيكون « اضطَرَّ » كما في قوله تعالى :

« ثم أَضْطَرُّهُ إلى عذاب النار » ١٢٦ سورة البقرة .

١٩ ـ طهر

وقال تعالى : « وإن كنتم جنُباً فاطَّهَروا » ٦ سورة المائدة .

: « والله يحبّ المُطَّهِّرين » ١٠٨ التوبة .

أقول : والأصل فيهما هو : « فتطهَّروا » و « المتطهِرين » ، وقد اجتُلبت الألف في الفعل الأمر بعد إدغام التاء في الطاء .

وهذا الأصل يرد في قوله تعالى :

« إنهم أناس يتَطَهَّرون » ٨٢سورة الأعراف

« إن الله يُحبّ التّوابين ويُحبّ المتطهِّرين » ٢٢٢ سورة البقرة

٢٠ ـ طوع

وقال تعالى : « الذين يلمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين ... » ٧٩ التوبة .

أقول : والأصل هو « المتطوِّعين » .

٢١ ـ طوف

وقال تعالى : « وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق » ٢٩ سورة الحج .

أقول : والأصل : « وليتَطَوَّفوا » .

وأنت ترى أن في الذهاب إلى الإدغام حساباً في الجهد الصوتي ، وهو من هنا أخفّ من الأصل .

٢٢ ـ طير

وقال تعالى : « قالوا اطَّيَّرنا بك وبمن معك » ٤٧ سورة النمل .

أقول : والأصل : « تطَيَّرنا » وقد أدغمت التاء في الطاء فاجتلبت الألف وصلاً للطاء المشدّدة[1] .

٢٣ ـ ودد

قال تعالى : « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حادَّ الله ورسوله » ٢٢ سورة المجادلة .

أقول : عرضنا لهذه الآية في « حادَّ » ونأتي هنا الى « يُوادّون » وهو المضارع لـ « وادَّ » بناء « فاعَلَ » .

خاتمـــــــة :

عرضنا في هذا الدرس لطائفة من الأفعال المزيدة اشتملت على ظاهرة الإدغام ، وشيء من الإبدال ، وكان الغرض أن نشير إلى أن العربية جرت إلى خفة البناء فكان من ذلك هذا الذي بسطناه .

---

١ ـ إن « الخفّة » التي سعت إليها العربية حكمت بحذف التاء من « استطاع » فصار « اسطاعَ » كما في قوله تعالى : « فما اسطاعُوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً » ٩٧ سورة الكهف ، وورود الفعل بحذف التاء وإثباتها إشعار بالجواز .